مجلة العلوم الإسلامية

فطرة الله التي فطر الناس عليها
(الميثاق انموذجا)

الأستاذ المساعد الدكتور

ثائر غازي عبود العاني

كلية العلوم الإسلامية قسم مقارنة الأديان

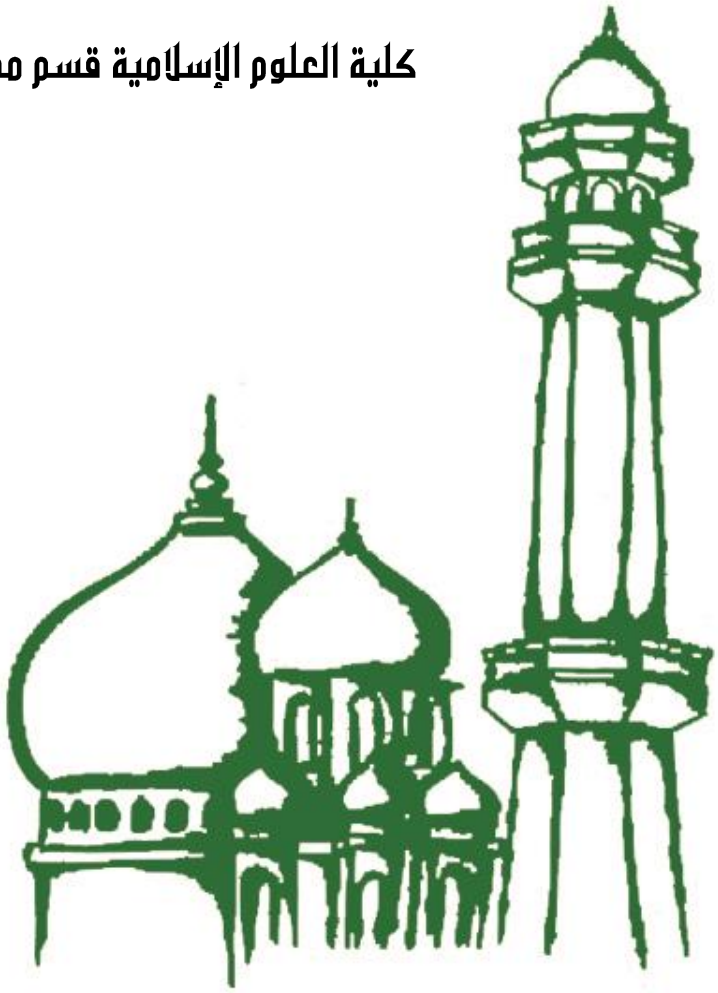

In the name of of Allah the Merciful

The title of the research: ((**The nature of God, which mushroom people on it / Charter model**))

Praise be to God, and prayers and peace be upon the Messenger of Allah, and on his family and companions .. After:

It is one of the virtues of the law of God that it came to the consent of the nature that the people have mushroomed, and taking into account the aspects of the whole human soul, and thus sent messengers, and brought down the books, and the affairs of the world and the Hereafter. Islam is the religion of instinct, in which he says the Almighty: ((Ftrt God that mushroom people))

research importance:

The difference between the salaf and the back in the meaning of nature is in the hadeeth of many hadeeths. We interpreted the words and mentioned the evidence, and we recited what the scholars answered.

Search Plan:

The subject required that the plan be based on two topics:

The first topic: the meaning of instinct. It has three demands:

The first requirement: instinct is language and terminology, the second requirement: the Charter that God took on the children of Adam, the third requirement: ways to weaken instinct and strengthen it.

In the second part, I spoke about the relationship of instinct to the covenant. I explained the profession of the covenant, its relation to nature, and the one who said that nature is the Charter, has three demands.

Then the conclusion and the main conclusions were included.

Then the sources and references that I used in my research.

God bless our Prophet Muhammad and his family and him.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلام على رسول الله، وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فإن من محاسن شريعة الله تعالى أنها جاءت موافقة للفطرة التي فطر الناس عليها، ومراعية لجوانب النفس الإنسانية كلها، وبهذا بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، وقامت أمور الدنيا والآخرة. فالإسلام دين الفطرة، التي قال فيها سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [1].

أهمية البحث:

اختلاف السلف والخلف في المراد بالفطرة في الحديث [2] على أقوال كثيرة، فسرنا الأقوال، وذكرنا الأدلة، ورددنا بما ردّ به العلماء، ورجحنا ما بدا لنا راجحا.

خطة البحث:

اقتضى الموضوع أن تكون الخطة على مبحثين:

المبحث الأول: معنى الفطرة. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفطرة لغة واصطلاحا، المطلب الثاني: الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم، المطلب الثالث: وسائل إضعاف الفطرة وتقويتها.

وفي المبحث الثاني تكلمت عن علاقة الفطرة بالميثاق، فبيّنتُ معنى الميثاق، وعلاقته بالفطرة، ومن قال بأن الفطرة هي الميثاق، على ثلاثة مطالب.

ثم الخاتمة وقد أدرجتُ فيها أهم الاستنتاجات.

ثم المصادر والمراجع التي استعنت بها في بحثي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[1] سورة الروم: من الآية ٣٠.

[2] سنذكر الأحاديث التي تكلمت عن الفطرة أثناء البحث.

المبحث الأول

معنى الفطرة

المطلب الأول: الفطرة لغة، واصطلاحا.

أولا: الفطرة لغة:

فطر الشيء يفطره فطرا، فانفطر، وفطره: شقه، وتفطر الشيء: تشقق، والفطر: الشق، وجمعه: فطور، وفي التنزيل العزيز: ﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾[1]، وأصل الفطر: الشق، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾[2] أي انشقت، وفطر الله الخلق يفطرهم: خلقهم وبدأهم، والفطرة: الابتداء والاختراع، وفي التنزيل العزيز: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3] والفطرة بالكسر: الخلقة، والفطرة: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به[4].

ثانيا: الفطرة اصطلاحا:

الفطرة: شيءٌ جِبِلّي منسوب إلى الجبلة كما يقال طبيعي أي؛ ذاتي منفعل عن تدبير الجبلة في البدن بصنع بارئه، وجبله الله على كذا إشارة لما ركب فيه من الطبع الذي يأبى على الناقل وتصور فيه العظم فقيل للجماعة جبل

---

(1) سورة الملك: من الآية/ ٣، تمام الآية: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾.

(2) سورة الانفطار: الآية/ ١.

(3) سورة فاطر: الآية/ ١، تمام الآية: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

(4) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط٤، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م: ٢/٧٨١، وينظر أيضاً: لسان العرب، لابن منظور- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت: ٧١١هـ) دار صادر، بيروت،ط٣، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤م: ٥/٥٥- ٥٦.

و﴿ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1] والمجبولين على أحوالهم التي بنوا عليها وسبيلهم التي فرضوا لسلوكها المشار إليها[2] ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾[3].

وقيل: الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه [4].

واختلف العلماء في معنى الفطرة في قوله ﷺ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه» [5] والمقصود بها على سبعة أقوال:

القول الأول:

هي الإقرار بمعرفة الله تعالى، وهي العهد الذي أخذه الله على بني آدم في أصلاب آبائهم حين مسح الله ظهر آدم عليه السلام، فاجتمع من ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[6] وهذا القول رواية عن الإمام احمد بن حنبل [7].

---

[1] سورة الشعراء: من الآية/ ١٨٤، تمام الآية: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ .

[2] ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف المؤلف، للمناوي- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م: ١/ ١٢١.

[3] سورة الإسراء: من الآية/ ٨٤، تمام الآية: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾.

[4] ينظر: القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م: ١/٢٨٨، ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، جامعة الأزهر، دار الفضيلة: ٢/ ٢٠٦.

[5] الجامع الصحيح المختصر(صحيح البخاري)- أبو عبدالله محمد بن إسماعيل(ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات: ٢/ ٩٢، برقم (١٣٥٤).

[6] سورة الأعراف: الآية/ ١٧٢.

[7] ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم- أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب أيوب (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م: ٢/ ٧٧٥، والكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني- محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين(ت٧٨٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١: ٧/ ١٣٤.

القول الثاني:

الفطرة: ابتداء خلق الإنسان من بطن امه، وهو رواية ثانية عن الإمام احمد بن حنبل [١]، وقول عبد الله بن المبارك، والإمام مالك [٢]، والمقصود بهذا الكلام: خلق الإنسان على الشقاوة والسعادة [٣].

وأن مقصود كلام هؤلاء العلماء: أن الخلق صائرون إلى ما سبق به علم الله منهم من إيمان وكفر، كما في الحديث الآخر: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا»[٤]، والطبع: الكتاب، أي: كتب كافرا، كما قال: «فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقيٌ أم سعيد»[٥] [٦].

---

[١] ينظر: شفاء العليل:٢/٧٧٦.

[٢] ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر- أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن احمد العلوي، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م: ١٨/٧٩.

[٣] ينظر: أعلام الحديث، للخطابي- أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط١، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٨ م: ١/٧١٣، وتفسير الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، ط١: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ١/٥٣٤. وشفاء العليل: ٢/٧٩٨.

[٤] صحيح مسلم- أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت:٨/٥٤، برقم (٦٩٣٧) كتاب القدر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة، عن أبي بن كعب ﷺ، ولفظه (إن الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا).

[٥] صحيح البخاري: ٩/١٣٥، برقم (٧٤٥٤) كتاب (التوحيد، باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، سورة الصافات: الآية/ ١٧١، رواه ابن مسعود ﷺ.

[٦] ينظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية- أبي العباس أحمد بن عبد الحليم(ت:٧٢٨هـ) تحقيق محمد رشاد سالم دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ: ٤/٢٨٧.

القول الثالث:

الفطرة: هي دين الله الإسلام، وهو قول عامة السلف أهل العلم بالتأويل[١] وهو قول ابن تيمية [٢]، وقد أكدوا أن الفطرة عنده هي الإسلام [٣]، يقول ابن تيمية: (احمد لم يذكر العهد الأول، وإنما قال: الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها، وهي الدين، وقال في غير موضع: إن الكافر اذا مات ابواه، او احدهما حكم بإسلامه، واستدل بهذا الحديث، فدلّ على أنه فسّر الحديث بأنه يولد على فطرة الإسلام كما جاء ذلك مصرحا به في الحديث، ولو لم تكن الفطرة عنده الإسلام لما صح استدلاله بالحديث)[٤].

القول الرابع:

الفطرة: الإسلام، وكل مولود يولد على الإسلام، والله سبحانه لا يضل أحدا، وإنما ابواه يضلانه، وهو قول القدرية [٥]، فهم يفسرون الفطرة بالإسلام مثل قول جمهور السلف الذي مر في القول السابق، الا أنهم يختلفون عن السلف في عدم اثباتهم لإضلال الله للعبد، وإنما ينسبون ذلك للأبوين كما هو ظاهر الحديث[٦].

---

[١] قال الخلال: (أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد، قال: "الفطرة الأولى التي فطر الله عز وجل عليها"، قلت له أنا: فما الفطرة الأولى، هي الدين؟ قال: نعم) السنة، لأبي بكر بن الخلال- أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلاَّل البغدادي الحنبلي (ت: ٣١١هـ)،تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م: ٣/٥٣٤، وينظر: التمهيد: ١٨/٧٢.

[٢] ينظر: شفاء العليل: ٢/٧٨٣.

[٣] ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٧٧٧، ٧٩٤.

[٤] ينظر: المنتقى شرح الموطأ، للتجيبي- أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤هـ)،الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢: ٧/ ٢٣٢، وينظر: شفاء العليل: ٢/٧٧٧.

[٥] القدرية: هم الذين ينفون قدر الله تعالى ويقولون ان الله تعالى لم يخلق أفعال العباد ويجعلون العبد خالق فعل نفسه ويقولون ان الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه. ينظر موسوعة الفرق والمذاهب إشراف وتقديم الأستاذ الدكتور محمود حمدي، وزارة الأوقاف المصرية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص ٥٢١. وشفاء العليل: ٢/٧٨٦.

[٦] ينظر: السنة، للخلال: ٣/٥٣٥.

القول الخامس:

المراد بالفطرة في الحديث: الخلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه.

والمعنى: كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفة، يريد: انه خلق خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها الى معرفة ربها، قالوا: الفاطر هو الخالق، وانكر اصحاب هذا القول أن يكون المولود يولد على ايمان او كفر[1].

القول السادس:

معنى قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»: أن الله فطرهم على الانكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان، فأخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا جميعا: ﴿بَلَىٰ﴾، فأهل السعادة قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ على معرفة له، طوعا من قلوبهم وأهل الشقاء قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ كرها غير طوع، وهو قول إسحاق بن راهوية[2][3].

وقد قال اسحق: هذا القول عندما فسر قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [4] قال إسحاق: لا لا تبديل للخلقة التي جبل عليها ولد آدم عليه السلام كلهم، يعني من الكفر والإيمان، والمعرفة والإنكار[5].

---

[1] ينظر: التمهيد: ١٨/٦٨-٦٩.

[2] هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظليّ التميمي المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه: عالم خراسان في عصره. من سكان مرو، روى عن الشافعي، روى عنه أحمد (ت: ٢٣٨هـ). ينظر: تهذيب الكمال، للمزي- يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي (ت:٧٤٢هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م: ٢/٣٧٣، ٣٧٨، وسير أعلام النبلاء، للذهبي- أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م: ١١/٣٥٨.

[3] ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني- أبي محمد محمود بن أحمد الغيتابى الحنفى، بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٨/١٧٩.

[4] سورة الروم: الآية/ ٣٠.

[5] ينظر: شرح السنة، للبغوي- أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)،تحقيق: شعيب الأرناؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ١/١٥٨، وشفاء العليل: ٢/٨٠١.

وقد رُدّ على هذا القول بعد ان اورد احتمالات معناه، ووافق على اكثرها، إلا انه اعترض على الانقسام الذي ذكره اسحق في ذلك الإقرار الى مطيع وكافر، فقال: (فهذا لم ينقل عن أحد من السلف فيما اعلم الا عن السدي في تفسيره) [١].

القول السابع:

معنى «كل مولود يولد على الفطرة» أي: كل مولود يولد على السلامة خلقة وطبعا وبِنية، ليس فيها كفر ولا ايمان، ولا معرفة ولا انكار، ثم يعتقد الكفر او الايمان بعد البلوغ اذا ميز، نقله ابن عبد البر كقول لبعض العلماء ولم يذكر اسما منهم وقال عنه: اصح ما قيل في معنى الفطرة [٢].

الترجيح:

يبدو لنا أن القول السابع هو أصحّ الأقوال: وذلك للأسباب الآتية:

١- قول النبي ﷺ في حديث الفطرة: «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء»، قالوا: يعني سالمة، «هل تحسون فيها من جدعاء» [٣] قالوا: يعني مقطوعة الأذن، فمثل قلوب بني آدم بالبهائم؛ لأنها تولد كاملة الخلق لا يتبين فيها نقصان، ثم تقطع آذانها بعد وأنوفها، وكذلك قلوب الاطفال حين ولادتهم ليس لهم حينئذ كفر ولا ايمان، ولا معرفة ولا انكار، كالبهائم السالمة، فلما بلغوا استهوتهم الشياطين، فكفر اكثرهم وعصم الله اقلهم [٤].

---

[١] شفاء العليل: ٢/ ٨٠٤.

[٢] ينظر التمهيد: ١٨/ ٦٩، ٧٠، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م: ١٤/ ٢٧.

[٣] صحيح البخاري: ٢/ ٩٥، برقم (١٣٥٨) كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، عن ابن عباس (رضي الله عنهما).

[٤] ينظر: أعلام الحديث، للخطابي: ١/ ٧١٣.

٢- الحديث القدسي: «إني خلقت عبادي حنفاء» [١] قالوا: يعني على استقامة وسلامة [٢].

٣- لو كان الأطفال قد فطروا على شيء من الكفر والإيمان في أولية امرهم، ما انتقلوا عنه ابدا، فقد نجدهم يؤمنون، ثم يكفرون، ثم يؤمنون.

٤- يستحيل في العقول ان يكون الطفل في حال ولادته يعقل كفرا او ايمانا، لأن الله اخرجهم من بطون امهاتهم لا يعلمون شيئا، فمن لم يعلم شيئا استحال منه كفر او إيمان او معرفة او انكار [٣].

ردّ الأقوال الأخرى:

ليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾[٤] ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الاسلام لمعرفته ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الاقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، اذا سلمت من المعارض، وليس المراد ايضا مجرد قبول الفطرة لذلك، فإن هذا القبول لا يغير بتهويد الأبوين وتنصيرهما، بحيث يخرجان الفطرة عن قبولها، وإن سعيا بتربيتهما ودعائهما في امتناع حصول المقبول، وأيضا: فإن هذا القبول ليس هو الاسلام، وليس هو هذه الملة، وليس هو الحنفية [٥].

وهذا ينفي أن تكون الفطرة هي الإسلام أو الدين نفسه كما هو قول جمهور السلف.

---

[١] صحيح مسلم: ١٥٨/٨، برقم (٧٣٨٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا اهل الجنة واهل النار، عن عياض بن حمار المجاشعي مرفوعا.

[٢] ينظر: شرح صحيح مسلم، للنووي - أبي زكريا يحيى بن شرف (ت:٦٧٦هـ) دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م: ١٩٧/١٧.

[٣] ينظر: التمهيد: ٦٩/١٨-٧٠

[٤] سورة النحل: من الآية/٧٨، تمام الآية: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾.

[٥] شفاء العليل: ٧٨٩/٢/ ٧٩٠.

المطلب الثاني: الميثاق الذي أخذه الله ﷻ:

الميثاق لغةً: (المعاهدة) ميثاق يكون بين اثنين أو جماعتين و (في القانون الدولي) اتفاق بين دولتين أو أكثر لتنظيم علاقات بينهما [١].

والوثيق: الشيء المحكم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٢] أي: أخذ العهد [٣].

وعند أهل التفسير:

اختلف المفسرون في الميثاق الذي اخذه الله تعالى في هذه الآية، هل كان من بني آدم عليه السلام كما هو ظاهر الآية ام من آدم نفسه ؟ وذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

أنّ الله تعالى اخرج من ظهور بني آدم (عليه السلام) بعضهم من بعض ومعنى { وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا } دلّهم بخلقه على توحيده، وأن هذا من باب التمثيل [٤]، وممن ذهب الى هذا القول: الزمخشري[٥] في تفسيره[٦].

---

[١] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م: ٢/ ٦٣٤.

[٢] سورة ال عمران: الآية ١٨٧، تمام الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

[٣] تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت: ٢٦/ ٤٥٠.

[٤] ينظر: فتح القدير: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (ت: ٨٦١هـ) دار الفكر، بيروت: ٢/ ٢٦٢، وصفوة التفاسير، للصابوني- محمد علي، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ١/ ٥٢.

[٥] هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، له (تفسير الكشاف) و(المفصل) في اللغة (ت: ٥٣٨هـ). ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان- أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان(ت: ٦٨١هـ)، دار الثقافة، بيروت: ٥/ ١٦٨، وسير أعلام النبلاء: ٢٠/ ١٥١.

[٦] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري- أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ٢/ ١٢٩.

والنسفي [١] في تفسيره [٢]، والقرطبي [٣] في تفسيره [٤].

القول الثاني:

أنّ الله اخرج الاشباح فيها الأرواح من ظهر آدم عليه السلام، وهو قول الشوكاني[٥] [٦]، والصابوني [٧]، قال الشوكاني: (والمعنى: أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته، واخذ عليهم العهد، وهؤلاء هم عالم الذر)[٨].

---

[١] هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، له(مدارك التنزيل) في التفسير اختصر فيه تفسير الكشاف وأنوار التنزيل و(كشف الأسرار) (ت: ٧١٠هـ). ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للقرشي- أبي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، محيي الدين الحنفي (ت: ٧٧٥هـ) مير محمد كتب خانه، كراتشي: ١/ ٢٧٠، وتاج التراجم، لابن قطلوبغا- أبي الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م: ١/ ١٠.

[٢] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي- عبد الله بن احمد بن محمود (ت:٧١٠هـ) مطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة (بدون رقم الطبعة)، ١٩٣٦م: ١/ ٥٨٧.

[٣] هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر في مصر، من كتبه (الجامع لأحكام القرآن) و(التذكرة) (ت: ٦٧١هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي-صلاح الدين خليل بن أيبك(ت: ٧٦٤هـ) تحقيق أحمد الأرناؤوط، نشر دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م: ٢/ ٨٧، وطبقات المفسرين، للداوودي: ٢/ ٦٩.

[٤] ينظر: تفسير القرطبي: ٤/ ٢٠٠.

[٥] هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، له (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار)، و (فتح القدير) في التفسير(ت:١٢٥٠هـ). ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت:٢/ ٢١٤، والأعلام، للزركلي - أبي الغيث خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م: ٦/ ٢٩٨.

[٦] ينظر: فتح القدير، للشوكاني-أبي عبدالله محمد بن علي بن محمد(ت: ١٢٥٠هـ) تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، دمشق: ٢/ ٢٦٣.

[٧] ينظر: صفوة التفاسير: ص ٥٢.

[٨] المصدر نفسه.

القول الثالث:

أن الله سبحانه اخرج الأرواح قبل خلق الأجساد وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها [١].

واستدلوا بحديث الترمذي والحاكم أن عمر بن الخطاب ﷺ سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[٢]، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال رسول الله ﷺ: «أن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء الجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل ؟ »قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال الجنة فيدخله به الجنة، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار»[٣].

فمن أخذ بظاهر الآية وفسرها على ظاهرها قال بالقول الأول وهو: أن الأخذ من ظهور بني آدم بعضهم من بعض، وأن هذا من باب التمثيل، وأجاب عن الحديث بأنه منقطع [٤]، ولو صح لم يكن تفسيرا للآية، ومن أخذ أخذ بالحديث السابق الذكر واعتبره تفسيرا للآية قال بالقول الثاني وهو: أن الأخذ من آدم عليه السلام، فعندما خلقه الله مسح ظهره فاستخرج منه ذريته، واخذ عليهم العهد [٥].

---

[١] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ٢٠٠، وفتح القدير، للشوكاني: ٢/ ٢٦٢- ٢٦٣.

[٢] سورة الأعراف: الآية/ ١٧٢.

[٣] الجامع الصحيح، للترمذي- أبي عيسى محمد بن عيسى (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار إحياء الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ٥/ ١١٦، برقم (٣٠٧٥) كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف، قال الترمذي حديث حسن، والمستدرك على الصحيحين، للنيسابوري-أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم (ت:٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م: ٢/ ٣٥٤، برقم (٣٢٥٦) كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف، قال الذهبي: على شرط مسلم.

[٤] قال ابو عمر بن عبد البر: (هذا الحديث منقطع بهذا الإسناد ؛ لأن مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب، وبينهما في هذا الحديث نعيم بن ربيعة، وهو ايضا مع هذا الإسناد لا تقوم به حجة). التمهيد:٦/ ٣.

[٥] ينظر: الاستذكار، لابن عبد البر- أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)،تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م: ٣/ ١٠٦، وعارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، لابن العربي- محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، أبي بكر ابن العربي (ت: ٥٤٣ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت: ١/ ٢١١.

الترجيح:

الذي يبدو راجحاً- والله أعلم- هو القول الأول الذي يأخذ بظاهر الآية، ويقول بأن الأخذ فيها من بني آدم عليه السلام وليس من آدم عليه السلام، وهو عدم تأويل الآيات، أو تقدير محذوف فيها او انها مجاز اذا لم يقم دليل معتبر وراجح على هذه الاحتمالات المذكورة.

أدلة الترجيح:

١- أن حديث عمر رضي الله عنه لو صح ليس تفسيرا للآية ولا يدل عليها.

٢-الآية تدل على أن الأخذ من بني آدم عليه السلام وليس من آدم عليه السلام وأنه من ظهورهم لا من ظهر آدم عليه السلام.

٣-الاشهاد في الآية اشهاد تقوم به الحجة.

٤-حديث عمر رضي الله عنه دلّ على أمر آخر لم تدل عليه الآية وهو: القدر السابق والميثاق الأول، وهو سبحانه لا يحتج عليهم بذلك، وإنما يحتج عليهم برسله، وهو الذي دلت عليه الآية.

٥- تضمنت الآية المذكورة والأحاديث المذكورة اثبات القدر والشرع، وإقامة الحجة والإيمان بالقدر، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عنها بما يحتاج العبد إلى معرفته والإقرار به [١].

[١] ينظر: شفاء العليل: ١/ ٧٨.

المطلب الثالث: وسائل إضعاف الفطرة وتقويتها:

هناك عوامل كثيرة وأسباب متنوعة لتغيير الفطرة عن أصالتها وتبديلها عن نصاعتها، حتى تصبح منطمسة لا نور فيها لإبصار الحق واتباعها، أو لتمييز الباطل واجتنابها ومن تلك المغيرات للفطرة ما يلي:

١- تقليد الآباء وإتباعهم في اتباع الباطل.

وهذا العامل يعد من العوامل القديمة والحديثة، فهو حجة كثير مما كذب الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهي من أضعف حججهم وأتفهها.

فقد كان تقليد الآباء سبب إعراضهم عما جاء به الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام من البينات والهدى، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[١]، معنى الآية: أن الله تعالى أمرهم بأن يتبعوا ما أنزل الله من الدلائل الباهرة فهم قالوا لا نتبع ذلك، وإنما نتبع آباءنا وأسلافنا، فكأنهم عارضوا الدلالة بالتقليد، وأجاب الله تعالى عنهم بقوله: أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون [٢].

وكان اتباع الآباء وتقليدهم سبب تماديهم في الغي وإتيانهم الفواحش والمنكرات، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٣] [٤].

بل كان اتباع الآباء وتقليدهم هو الصاد الأكبر والحائل الأعظم بينهم وبين الإيمان التوحيد، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [٥] فجوابهم يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة، في

---

[١] سورة البقرة: الآية/ ١٧٠.

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير، للرازي – فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت:٦٠٦هـ) قدم له الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م: ٥/١٨٨.

[٣] سورة الأعراف: الآية/٢٨.

[٤] ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد بن علي الحسيني(ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م: ٨/ ٣٣٢.

[٥] سورة الأنبياء: الآيتان/ ٥٢- ٥٤.

مقابل حرية الإيمان، وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمها الحقيقية لا التقليدية. فالإيمان بالله طلاقة وتحرر من القداسات الوهمية التقليدية، والوراثات المتحجرة التي لا تقوم على دليل[١]

٢- تزيين الشياطين واجتيالهم.

لاشك أن الشيطان الرجيم بما يزينه للناس من الشرك بالله تعالى، وبما يدعو إليه من معصية الله تعالى يجتال الناس ويطمس ويغير من فطرهم ويصرفهم عن الحنفية السمحة، قال تعالى: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾[٢] ويحتمل أن يكون هذا النصيب طائفة الذين يضلهم ويغويهم ويزين لهم الشرك والمعاصي، وأن يكون حظه من نفس كل فرد من أفراد الناس، وهو الاستعداد الفطري للباطل والشر المقابل للاستعداد الفطري للحق والخير وهو المختار[٣]، وفي الحديث القدسي: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا»[٤].

وللشيطان لعنه الله في إغواء البشر وصرفهم عن الحق وسائل متنوعة وأساليب مختلفة يستعملها للوصول إلى مقصوده وهدفه بكل حنكة وخبث: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[٥][٦].

---

[١] ينظر: في ظلال القرآن لسيد بن قطب بن إبراهيم(ت: ١٣٨٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م: ٤/٢٣٨٥.

[٢] سورة النساء: الآيات/١١٨ – ١٢١.

[٣] ينظر: تفسير المنار: ٥/٢٤٨.

[٤] صحيح مسلم: ٨/١٥٨، برقم (٧٣٨٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، عن عياض المجاشعي (ﷺ).

[٥] سورة الإسراء: الآية/ ٦٤.

[٦] ينظر: تفسير القرطبي: ١٠/٢٨٩.

ولكن يجب أن ندرك تماما أن الشيطان مهما أوتي من قوة وحيلة في التضليل والإغواء فليس مسلطا على الخلق بحيث يغوي ويضل من شاء إغوائه وإضلاله، فإنما تأثيره البالغ إنما يكون فيمن ليس له من التوحيد والطاعة، من أهل الشرك والغي، أما أهل اللإيمان الحق والطاعة الحقيقية لله تعالى فإن الله يعصمهم بعصمته وينجيهم بفضله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾[1][2]

٣- اتباع الهوى.

ليست أسباب الغواية والضلالة منحصرة في تقليد واتباع الآباء أو غيرهم، أو في إغواء الشياطين وإضلالهم ونحو ذلك من الأسباب الخارجية، بل هناك أسباب أخرى ترجع الإنسان باختياره المحض للفجور أو الكفر في مقابل الطاعة أو الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[4][5].

لذلك فالإنسان ينتكس إلى الهاوية بعد وضوح الحق جليا بسبب هوى في نفسه وليس لشيء آخر، قال تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾[6] وقال سبحانه: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[7] وقال عز وجل: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[8][9].

---

[1] سورة الإسراء: الآية/٦٥.

[2] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥م: ٨/ ١٢٠.

[3] سورة البلد: الآية/ ١٠.

[4] سورة الإنسان: الآية/٣.

[5] ينظر: تفسير المنار: ١/ ٢٣٥.

[6] سورة طه: الآية/١٦.

[7] سورة القصص: الآية/ ٥٠.

[8] سورة الجاثية: الآية/٢٣.

[9] ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لابن رجب- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م: ٢/ ٣٩٧.

أما كيف نقوي الفطرة:

١- التمسك بالوحي.

التمسك بالوحي هو أول أسباب المحافظة على الفطرة، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ [١]، عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: (أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة، ثم قرأ: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾ قال: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة) [٢]

٢- لزوم الشريعة.

من عواصم الفطرة من التغير والانتكاسة لزوم شرع وعدم الحيدة عنها قليلا أو كثيرا، فإنّ النجاة في لزومها، علما وعملا ونظريةً وتطبيقا في الأمن والخوف، والسلم والحرب، فالشريعة موضوعة لسير الناس عليها في كل الأحوال فهي مستقيمة لا تنحرف وواسعة لا تضيق، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩ ﴾ [٣] [٤]

٣- جهاد الشيطان.

الشيطان يلقي في القلوب من الوساوس والخواطر الفاسدة مالا يعلم خطورتها إلا الله تعالى، وأي قلب أشربها طمس من نور يقينه وأطفأ من سراج إيمانه، والمؤمن الموقن هو من يدفع تلك الوسائل ويصون قلبه أن

---

[١] سورة طه: الآيتان/١٢٣- ١٢٤.

[٢] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط٣، ١٤١٩ هـ/١٩٩٩م: ٧/ ٢٤٣٢، والدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي- أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ: ١٠/ ٢٣٩.

[٣] سورة الجاثية: الآيتان/١٨- ١٩.

[٤] ينظر: بحر العلوم (تفسير السمرقندي) - أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ١٩٨٤ م) دار الكتب العلمية، بيروت: ٣/ ٢٧٩، وفي ظلال القرآن: ٥/ ٣٢٢٩.

يدخله شيء من تلك الوساوس والخواطر [1]، قال ابن القيم رحمه الله: (وأما جهادُ الشيطان، فمرتبتان، إحداهما: جهادُه على دفع ما يُلقى إلى العبد مِن الشبهات والشُّكوكِ القادحة في الإيمان، الثانية: جهادهُ على دفع ما يُلقى إليه من الإرادات الفاسدة والشهواتِ، فالجهادُ الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعدَه الصبر. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[2]، فأخبر أن إمامة الدين، إنما تُنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهواتِ والإرادات الفاسدة، واليقينُ يدفع الشكوك والشبهات) [3].

---

[1] ينظر: روح المعاني: ٣/ ٩٢.

[2] سورة السجدة: الآية/ ٢٤.

[3] زاد المعاد في هدي خير العباد ؛لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب(ت:٧٥١هـ)، مجمع الفقه الإسلامي بجدة،ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م: ٣/ ١٠.

المبحث الثاني
الميثاق وعلاقته بالفطرة

المطلب الأول: معنى الميثاق:

الفرع الأول: الميثاق لغةً واصطلاحاً:

الميثاق لغةً: من وَثَقَ: الواو والثاء والقاف كلمة تدلّ على عَقْد وإحْكام، وَوَثَّقْت الشيء: أحكَمْتَه، وناقة موثَّقة الخلق، والميثَاق: العَهْد المحكم [١]، وقيل: (المِيثاق: عَقْدٌ يؤكد بيمين وعَهْد، وأخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف) [٢].

وفي الاصطلاح: الميثاق هو العهد جمعه مواثيق ومياثيق [٣].

وردت لفظة الميثاق وما في معناها (٢٩) مرة في (٢٥) آية من كتاب الله في عشر سور من سور القرآن الكريم [٤].

وقد ورد الميثاق بمعنى العهد والعقد في القرآن غير مرةٍ في القرآن، ومع أنّ العهد أعمّ من الميثاق فالمعاني التي يرد فيها أكثر، إلا أنه ورد بمعنى الميثاق، وهذه بعض الآيات:

-قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ﴾ [٥] قال عطاء: هي العهود التي كانت بين النبي ﷺ وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير، ودليله كما قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ [٦].

---

[١] معجم مقاييس اللغة مادة (وثق): ٦/ ٨٥.

[٢] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: ١٥٨/٥.

[٣] المعجم الوسيط: ١٠١٢/٢.

[٤] هناك آيات أخرى ذكرت (الميثاق) ولكنها لم تكن ضمن المعنى الذي نتحدث عنه، وتفصيل هذه الآيات كما يلي: سورة البقرة: الآيات ٢٧، ٦٣، ٨٣، ٨٤، ٩٣، سورة آل عمران: الآيتان ٨١، ١٨٧، سورة النساء: الآيات ٢١، ٩٠، ٩٢، ١٥٤، ١٥٥، سورة المائدة: الآيات ٧، ١٢، ١٣، ١٤، ٧٠، سورة الأعراف: الآية ١٦٩، سورة الأنفال: الآية ٧٢، سورة يوسف: الآيتان ٦٦، ٨٠، سورة الرعد: الآيتان ٢٠، ٢٥، سورة الأحزاب: الآية ٧، سورة الحديد: الآية ٨.

[٥] سورة الأحزاب: من الآية/ ١٠٠

[٦] سورة الأنفال: الآية/ ٥٦.

فهي هنا بمعنى العقد والميثاق [١] وقال تعالى في سورة البقرة أيضًا: ﴿ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ ﴾[٢]، وهي العقود التي تكون بين الإنسان وغيره[٣] وقال في سورة الأنفال: ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾[٤] والعهد هنا ما عقده رسول الله ﷺ مع اليهود من عقود وعهود ومواثيق بأن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه [٥].

أولاً: الميثاق في القرآن:

المعاني التي ورد فيها الميثاق في القرآن الكريم كثيرة، منها:

١- ورد الميثاق بمعنى العهد الذي أخذه الله على عباده:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ [٦]، قال الماوردي: وفي الكناية التي في ميثاقه قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى اسم الله، وتقديره من بعد ميثاق، والثاني: أنها كناية ترجع إلى العهد، وتقديره، من بعد ميثاق العهد [٧].

٢- ورد الميثاق بمعنى ما أخذه الله على بني إسرائيل من عهد وميثاق:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ [٨]، قال مقاتل[٩]: إنه أخذ ميثاقهم ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة. وقال أبو سليمان الدمشقي:

---

[١] ينظر: تفسير القرطبي: ٢/ ٤٠.

[٢] سورة البقرة: من الآية/ ١٧٧.

[٣] النكت والعيون(تفسير الماوردي) أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت: ١/ ١٧٨، وتفسير أبي السعود ١/ ٣٠٧.

[٤] سورة الأنفال: الآية/ ٥٦.

[٥] ينظر: زاد المسير: ٣/ ٣٧٢؛ وتفسير القرطبي ٨/ ٣٠.

[٦] سورة البقرة: من الآية/ ٢٧.

[٧] ينظر: تفسير الماوردي ١/ ٨٢.

[٨] سورة البقرة: من الآية/ ٦٣

[٩] هو: أبو الحسن مقاتل بن سليمان روى عن الضحاك والزهري كان جسورا قال عنه البخاري ليس بشيء (ت: ١٥٢هـ). يُنْظَر: سير أعلام النبلاء: ٧/ ٢٠١.

أعطوا الله عهدا ليعملن بما في التوراة [١].

٣- وورد الميثاق دالا على ما أخذه الله على النبيين من عهد وميثاق:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾[٢]، قال القرطبي: قيل: أخذ الله الله ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضا، ويأمر بعضهم بالإيمان بعضا [٣].

٤- وجاء الميثاق بمعنى عقد النكاح:

قال تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [٤].

قال مجاهد وابن زيد: هو عقد النكاح وقول الرجل نكحت وملكت [٥].

٥- وجاء الميثاق بمعنى العقود والعهود والمواثيق التي عقدها رسول الله ﷺ مع بعض المشركين:

قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ [٦].

قال مجاهد وابن زيد لا تقتلوا قوما بينهم وبين من بينكم وبينهم عهد فإنهم على عهدهم.

قال القرطبي: وهو أصح ما قيل في معنى الآية [٧].

٦- وجاء الميثاق بمعنى البيعة التي بايع الصحابة رسول الله ﷺ عليها:

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [٨].

قال القرطبي: الذي عليه جمهور المفسرين كابن عباس والسدي هو العهد والميثاق الذي جرى لهم مع النبي ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره إذ قالوا سمعنا وأطعنا، كما جرى ليلة العقبة وتحت الشجرة [٩].

---

[١] ينظر: زاد المسير: ١/ ٩٣.

[٢] سورة آل عمران: من الآية/ ٨١.

[٣] ينظر: تفسير القرطبي: ٤/ ١٢٤.

[٤] سورة النساء: من الآية/ ٢١.

[٥] ينظر: تفسير القرطبي: ٥/ ١٠٣.

[٦] سورة النساء: من الآية/ ٩٠.

[٧] ينظر: تفسير القرطبي ٥/ ٣٠٨.

[٨] سورة المائدة: من الآية/ ٧.

[٩] تفسير القرطبي ٦/ ١٠٨.

٧- وجاء الميثاق دالا على ما أخذه على النصارى من عهد وميثاق على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ ﴾ [١].

قال مقاتل: أخذ عليهم الميثاق كما أخذ من أهل التوراة [٢].

٨- وجاء الميثاق بمعنى العهد الذي كان بين يعقوب وبنيه:

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴾ [٣]، قال السدي: أنه حلفهم بالله [٤].

وقال ابن كثير: (أي تحلفون بالعهود والمواثيق) [٥].

٩- وجاء الميثاق بمعنى العهد والعقد مطلقا مما يكون بين الخلق وخالقهم أو بعضهم مع بعض:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴾ [٦]

قال النسفي: (ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد)[٧].

١٠- وورد الميثاق بمعنى ما أخذه الله على ذرية آدم وهم في صلب أبيهم:

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [٨].

قال مجاهد: هو الميثاق الأول الذي كان وهم في ظهر آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه [٩].

---

[١] سورة المائدة: من الآية/ ١٤.

[٢] ينظر: زاد المسير ٢/ ٣١٥.

[٣] سورة يوسف: الآية/ ٦٦.

[٤] ينظر: تفسير الماوردي ٢/ ٢٨٧.

[٥] تفسير ابن كثير ٢/ ٤٨٤.

[٦] سورة الرعد: الآية/ ٢٠.

[٧] ينظر: تفسير النسفي: ٢/ ٤٠٩.

[٨] سورة الحديد: الآية/ ٨.

[٩] ينظر: تفسير الطبري ٢٧/ ٢١٨، وتفسير القرطبي: ١٧/ ٢٣٨.

ثانياً: الميثاق في الأحاديث النبوية:

- عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ في حديث طويل وفيه قصة الرجل - آخر أهل الجنة دخولا - حيث يسأل الله تعالى وفيه: " فلا يزال يدعو، فيقول الله لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيعطي الله من عهود ومواثيق ألا يسأله غيره، فيقربه إلى باب الجنة) الحديث [1].

-وفي حديث الأسود بن سريع عن رسول الله ﷺ قال: «أربعة يوم القيامة... " إلى أن قال: فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل عليهم أن ادخلوا النار»[2].

-وفي الحديث عن قصة عمر ﷺ مع العباس وعلي (رضي الله عنهما): (قال عمر لهما: إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل به رسول الله ﷺ وبما عمل به فيها أبو بكر، وبما عملت به فيها منذ وليتها، وإلا فلا تكلماني فيها، فقلتما: ادفعها إلينا بذلك) [3].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب عهد الله عز وجل: ٨/١١٧، برقم (٦٥٧٣).

[2] مسند الإمام أحمد، ما رواه الأسود بن سريع ﷺ: ٢٦/٢٢٨، برقم (١٦٣٠١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٢١٦ رجاله رجال الصحيح، والحاكم في مستدركه، كتاب الفتن والملاحم، باب حديث ثوبان: ٤/٤٩٦، برقم (٨٣٩٠) قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

[3] صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله: ٤/٨٠، برقم (٣٠٩٤)

المطلب الثاني: علاقة الفطرة بالميثاق:

ذكرنا القول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [١]، اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق غير أبي عمرو ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ﴾ ، بفتح الألف من أخذ ونصب الميثاق، بمعنى: وقد أخذ ربكم ميثاقكم. وقرأ ذلك أبو عمرو: ﴿ وَقَدْ أُخِذَ مِيثَاقَكُمْ ﴾ بضمّ الألف ورفع الميثاق، على وجه ما لم يسمّ فاعله [٢]، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وإن كان فتح الألف من أخذ ونصب الميثاق أعجب القراءتين إليّ في ذلك، لكثرة القراءة بذلك، وقلة القراءة بالقراءة الأخرى [٣].

قال مقاتل: (يعني يوم أخرجكم من صلب آدم عليه السلام وأقروا له بالمعرفة والربوبية) [٤]، وقال مجاهد: (هو الميثاق الأول الذي كان وهم في ظهر آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه) [٥].

وقال أكثر المفسرين بهذا القول، كالسمرقندي [٦]، والواحدي [٧]، والقرطبي [٨].

وقد أكد الهواري هذا الكلام عندما فسّر ما بعده قائلاً: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين بالله وبالرسول فأنتم مؤمنون بذلك الميثاق، وإن كفرتم بالله وبالرسول فأنتم كافرون بذلك الميثاق [٩].

---

[١] سورة الحديد: الآية/٨.

[٢] ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد- أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م: ص/٦٢٥.

[٣] تفسير الطبري: ٢٣/ ١٧٢.

[٤] تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣م: ٤/ ٢٢٨.

[٥] ينظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ١٧٢.

[٦] ينظر: تفسير السمرقندي: ٣/ ٤٠٢.

[٧] ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي- أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤ م: ٤/ ٢٤٥.

[٨] ينظر: تفسير القرطبي: ١٧/ ٢٣٨،

[٩] تفسير الهواري- هود بن محكم(ت: حوالي ٢٨٠هـ)، تحقيق: بالحاج بن سعيد شريفي؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي، الرباط، ط١٤١٠،١هـ/١٩٩٠م:٤/ ٣٢.

وقد ردّ الإمام الرازي [1] هذا الكلام قائلاً: (في تفسير أخذ الميثاق: قال عطاء ومجاهد والكلبي والمقاتلان: يريد حين أخرجهم من ظهر آدم، وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[2] وهذا ضعيف، وذلك لأنه تعالى إنما ذكر أخذ الميثاق ليكون ذلك سببا في أنه لم يبق لهم عذر في ترك الإيمان بعد ذلك، وأخذ الميثاق وقت إخراجهم من ظهر آدم غير معلوم للقوم إلا بقول الرسول، فقبل معرفة صدق الرسول لا يكون ذلك سببا في وجوب تصديق الرسول، أما نصب الدلائل والبينات فمعلوم لكل أحد، فذلك يكون سببا لوجوب الإيمان بالرسول، فعلمنا أن تفسير الآية بهذا المعنى غير جائز[3].

وقيل: أَخَذَ مِيثاقَكُمْ بأن ركّب فيكم العقول وأقام الحجج والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول [4].

---

[1] هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر، صاحب التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) و(المحصول في علم الأصول) (ت:٦٠٦هـ). ينظر: طبقات الشافعية، للسبكي: ٨/ ٨١.

[2] سورة الأعراف: من الآية/ ١٧٢.

[3] تفسير الرازي:٢٩/ ٤٥١.

[4] ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن(تفسير الثعلبي)، للثعلبي- أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبي إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م: ٩/ ٢٣١، والكشاف، للزمخشري- أبي القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ) مكتبة الهلال،بيروت،ط١،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ٤/ ٤٧٣.

المطلب الثالث: القول بأنّ الفطرة هي الميثاق:

فسّر أصحاب هذا القول قوله ﷺ:«كل مولود يولد على الفطرة»[1] بأنه الميثاق الذي أخذه الله تعالى من ذرية آدم عليه السلام قبل أن يخرجوا إلى الدنيا يوم استخرجهم من ظهره فخاطبهم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾[2] فأقروا جميعاً له بالربوبية عن معرفة منهم به، ثم أخرجهم من أصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على تلك المعرفة، وذلك الإقرار، فلست واجداً أحداً إلا وهو مقر بأن له صانعاً ومدبّراً، وإن سماه بغير اسمه، أو عبد شيئاً دونه، ليُقَرّبَهُ منه عند نفسه، أو وصفه بغير صفته، أو أضاف إليه ما تعالى عنه علواً كبيراً، فكل مولود في العالم على ذلك العهد والإقرار. وقالوا: وليست تلك المعرفة بإيمان، ولا ذلك الإقرار بإيمان، ولكنه إقرار من الطبيعة [3] للرب، فطرة ألزمها قلوبهم ثم أرسل إليهم الرسل، فدعوهم إلى الاعتراف له بالربوبية والخضوع، تصديقاً بما جاءت به الرسل، فمنهم من أنكر وجحد بعد المعرفة وهو به عارف، لأنه لم يكن الله ليدعو خلقه إلى الإيمان به وهو لم يُعرّفهم نفسه، إذ يكون حينئذ قد كلفهم الإيمان بما لا يعرفون [4]

أصحاب هذا القول:

نُسب هذا القول إلى جماعة من أهل العلم منهم:

الأوزاعي [5][6]

---

[1] سبق تخريجه: ص/٦.

[2] سورة الأعراف: من الآية/٧.

[3] ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت: ١/ ٢٧٢

[4] ينظر: التمهيد، لابن عبد البر: ١٨/ ٩٠-٩١.

[5] هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، حدث عن: عطاء بن أبي رباح، وأبي جعفر الباقر، روى عنه الزهري وشعبة (ت: ١٥٧هـ). ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٣/١٢٧، وسير أعلام النبلاء: ٧/١٠٧.

[6] السنن الكبرى، للبيهقي- أبي بكر أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م: كتاب اللقطة، باب الولد يتبع أبويه في الكفر: ٦/ ٣٣٥، برقم (١٢١٤٥).

وحماد بن سلمة [١] [٢] وسحنون [٣] [٤]، وأيّده الطيبي [٥][٦].

أدلة أصحاب هذا القول وحججهم:

١- استدلوا بقوله تعالى-عن المشركين-: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٧] وغيرها من الآيات التي يُقر فيها المشركون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر سبحانه.

٢- استدلوا بحديث أبي بن كعب ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الآية، قال: (جمعهم جميعاً فجعلهم أرواحاً ثم صوّرهم ثم استنطقهم فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم هذا، قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك، قال: فإني أرسل إليكم رسلي، وأنزل عليكم كتبي فلا تكذبوا رسلي، وصدقوا بوعدي، وإني سأنتقم ممن أشرك بي، ولم يؤمن بي، قال: فأخذ عهدهم وميثاقهم، ورفع أباهم آدم فنظر إليهم، فرأى منهم الغني والفقير، وحسن الصورة، وغير ذلك،

---

[١] هو: الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار الربعي مولاهم البصري البزاز البطائني النحوي المحدث، من عباد أهل البصرة ومتقنيهم،اشتهرَ بالاحتساب في تعليم الحديث (ت: ١٦٧هـ). ينظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، لابن حبان- محمد بن حبان بن أحمد التميمي، أبي حاتم، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١ ١٤١١ هـ/١٩٩١ م: ١/١٥٧.

[٢] ينظر: فتح الباري، لابن حجر: ٣/٢٩٣.

[٣] هو: عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون انتهت اليه رئاسة المذهب المالكي في المغرب، له (المدونة) في فروع المالكية (ت: ٢٤٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٣/١٨٠، والوافي بالوفيات، للصفدي: ١٨/٢٥٨.

[٤] تفسير الطبري: ١٣/٢٣٩.

[٥] هو: شرف الدين ابو عبدالله الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ) له (فتوح الغيب) حاشية على الكشاف، و(التبيان) في المعاني والبيان. ينظر: طبقات المفسرين، للداوودي - محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت: ١/١٤٦، والبدر الطالع: ١/١٥٦.

[٦] ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ(الكاشف عن حقائق السنن)، للطيبي- شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: (ت: ٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م: ١/٢٣٥ - ٢٣٦.

[٧] سورة الزخرف: من الآية/٨٧.

فقال: يارب، لو سويت بين عبادك؟ قال: أحببت أن أشكر. قال: والأنبياء يومئذ بينهم مثل السرج، قال: وخصوا بميثاق آخر للرسالة أن يبلغوها، قال: فهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [1]، قال: وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ [2] وذلك قوله: ﴿ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾[3] قال: فكان في علم الله من يكذب به ومن يصدق...) [4] الحديث.

٤- استدلوا بما روي عن حماد بن سلمة أنه سئل عن قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» فقال: هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم[5]

٥- احتجوا بحديث أنس بن مالك ﷺ يرفعه: «إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك» [6].

٦- احتجوا بأن التعريف في قوله ﷺ: «يولد على الفطرة...» فيه إشارة إلى معهود وهو قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ لأن معنى المأمور به بقوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ أثبت على العهد القديم، المعني به قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[7].

---

[1] سورة الأحزاب: من الآية/٧.

[2] سورة الأعراف: الآية/١٠٢.

[3] سورة الأعراف: من الآية/١٠١.

[4] الحاكم في المستدرك كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف: ٢/٣٥٣، برقم (٣٢٥٥)،عن أبي بن كعب ﷺ، قال الذهبي: صحيح. صحيح.

[5] ينظر: فتح الباري، لابن حجر: ٣/٢٩٣.

[6] صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب خلق آدم: ٤/١٣٣، برقم (٣٣٣٤).

[7] ينظر: الكاشف عن حقائق السنن: ١/٢٣٥.

الخاتمة

بعد إتمام هذا البحث بتوفيق من الله سبحانه وتعالى تم التوصل إلى النتائج التالية:

١- أن الله خلق قلوب بني آدم (عليه السلام) مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول، وعلى تلك الأهلية أدركت الحق.

٢- ودين الإسلام هو الدين الحق، وليس المراد بقوله: «يولد على الفطرة» أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين؛ لأن الله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [1]، ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة.

٣- ليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك؛ لأنه لا يتغير بتهويد الأبوين مثلا، بحيث يخرجان الفطرة عن القبول، وإنما المراد أن كل مولود يولد على إقراره بالربوبية، فلو خلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من ارتضاع اللبن، حتى يصرفه عنه الصارف، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن، بل كانت إياه في تأويل الرويا، والله أعلم".

٤- ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾، أي الخلقة التي خلق الناس عليها من الاستعداد لقبول الدين والنهي لتتجلى بالحق، وقبول الاستعداد والتأبي عن الباطل، والتمييز بين الخطأ والصواب.

٥- أن الإنسان يولد على نوع من الجبلة والطبع المهيأ لقبول الدين، فلو ترك الأمر عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل من يعدل لآفة من البشر والتقليد.

٦- فالإسلام جاء بمراعاة الفطرة، لم يأت مصادما لها، ولم يتمرد عليها، بل جاء في العقائد والتشريعات والأخلاق وفي الآداب برعاية الفطرة.

٧- أنّ الطبع والختم والقفل الذي يجعله الله على قلوب الكافرين يمكن فكه اذا تاب الإنسان وترك الكفر الى الإيمان.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[1] سورة النحل: من الآية/٧٨.

المصادر والمراجع [1]

القران الكريم.

١. الاستذكار، لابن عبد البر- أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)،تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م.

٢. أعلام الحديث، للخطابي- أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط١، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٨ م.

٣. الأعلام، للزركلي - أبي الغيث خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٤. بحر العلوم (تفسير السمرقندي) - أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ١٩٨٤ م) دار الكتب العلمية، بيروت.

٥. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٧. تاج التراجم، لابن قطلوبغا- أبي الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م

٨. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت.

[1] حسب الحروف الألفبائية.

٩. تفسير الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٠. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط٣، ١٤١٩ هـ/١٩٩٩م.

١١. تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣م.

١٢. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي الحسيني(ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م.

١٣. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر- أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن احمد العلوي، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

١٤. تهذيب الكمال، للمزي- يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي (ت:٧٤٢هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٥. التوقيف على مهمات التعاريف المؤلف، للمناوي- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٦. الجامع الصحيح، للترمذي- أبي عيسى محمد بن عيسى (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار إحياء الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٧. الجامع الصحيح المختصر(صحيح البخاري)- أبو عبدالله محمد بن اسماعيل(ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٨. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لابن رجب- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٩. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت:٦٧١ هـ)، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

٢٠. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للقرشي- أبي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، محيي الدين الحنفي (ت: ٧٧٥هـ) مير محمد كتب خانه، كراتشي.

٢١. درء تعارض العقل والنقل،لابن تيمية- أبي العباس أحمد بن عبد الحليم(ت:٧٢٨هـ) تحقيق محمد رشاد سالم دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ.

٢٢. والدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي- أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥م.

٢٤. زاد المعاد في هدي خير العباد ؛لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب(ت:٧٥١هـ)، مجمع الفقه الإسلامي بجدة،ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥. السبعة في القراءات، لابن مجاهد- أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٦. السنة، لأبي بكر بن الخلال- أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلاَّل البغدادي الحنبلي (ت: ٣١١هـ)،تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٢٧. السنن الكبرى، للبيهقي- أبي بكر أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٨. سير أعلام النبلاء، للذهبي- أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م

٢٩. شرح السنة، للبغوي- أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٠. شرح صحيح مسلم، للنووي - أبي زكريا يحيى بن شرف (ت:٦٧٦هـ) دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٣١. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ(الكاشف عن حقائق السنن)، للطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: ٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م.

٣٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم- أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م.

٣٤. صحيح مسلم- أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

٣٥. صفوة التفاسير، للصابوني- محمد علي، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة،ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧ م.

٣٦. عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، لابن العربي- محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، أبي بكر ابن العربي (ت: ٥٤٣ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني- أبي محمد محمود بن أحمد الغيتابى الحنفى، بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨. فتح القدير، لابن الهمام- كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (ت: ٨٦١هـ) دار الفكر، بيروت.

٣٩. فتح القدير، للشوكاني-أبي عبدالله محمد بن علي بن محمد(ت: ١٢٥٠هـ) تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، دمشق.

٤٠. في ظلال القرآن لسيد بن قطب بن إبراهيم(ت: ١٣٨٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٤١. القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.

٤٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري- أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤٣. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني- محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين (ت: ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٨١م.

٤٤. لسان العرب، لابن منظور- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت: ٧١١هـ) دار صادر، بيروت،ط٣، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

٤٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي- عبد الله بن احمد بن محمود (ت:٧١٠هـ) مطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة (بدون رقم الطبعة)، ١٩٣٦م.

٤٦. المستدرك على الصحيحين، للنيسابوري-أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم (ت:٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٤٧. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، لابن حبان- محمد بن حبان بن أحمد التميمي، أبي حاتم، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١ ١٤١١ هـ/١٩٩١ م

٤٨. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، جامعة الأزهر، دار الفضيلة.

٤٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٥٠. مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير، للرازي – فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت:٦٠٦هـ) قدم له الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٥١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت

٥٢. المنتقى شرح الموطأ، للتجيبي- أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤هـ)،الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢.

٥٣. النكت والعيون(تفسير الماوردي) أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٤. الوافي بالوفيات، للصفدي-صلاح الدين خليل بن أيبك(ت: ٧٦٤هـ) تحقيق أحمد الأرناؤوط، نشر دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.

٥٥. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي- أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م.

٥٦. وفيات الأعيان، لابن خلكان- أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان(ت: ٦٨١هـ)، دار الثقافة، بيروت.